﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾ [الفرقان: 76]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تـبـشـيرُ أهـلِ الإيمان بالخلودِ في الجنان

لـمّا أخبر اللّه سبحانه عن أهل الجنّة بدوام حياتِهم سالمين بصريحه، وبعظيمِ شرفهم بلازمه، دلّ على أنّهم لا يَبرحون عنه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَٰلِدِينَ﴾: (خلد) أصلٌ واحدٌ يدلّ على الثّبات والملازمة، فيقال: خَلَدَ، أي: أقامَ، وأَخلَدَ أيضًا، ومنه جَنَّةُ الخلدِ، ويقال أخلَدَ إلى الأرضِ إذا لصق بها[2]، وقال تعالى: ﴿*وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: 19]، من الخُلد، وهو البقاء، أي: لا يموتون، وكلّ ما يتباطأ عنه التّغييرُ والفساد تصفُه العرب بالخلود، والخلودُ في الجنّة أوِ النّار: بقاءُ الأشياء على الحالة الّتي هي عليها من غير اعتراضِ الفساد[3].

2) ﴿حَسُنَتۡ﴾: (حسن) أصلٌ واحدٌ، وهو ضِدُّ القُبح، يقال: رجلٌ حسنٌ، وامرأة حَسناءُ وحُسّانَةٌ[4]، فهو عبارة عن كلّ مُبْهِجٍ مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسنٌ من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسّ، والحسنةُ يعبّر عنها عن كلّ ما يسرّ من نعمةٍ تنال الإنسانَ في نفسه وبدنه وأحواله، والسّيئة تضادُّها[5].

3) ﴿مُسۡتَقَرّٗا﴾: (قَرَّ) أصلٌ يدلّ على تمكّنٍ[6]، وتدلّ هذه المادّةُ أيضًا على ثباتِ ما شأنُه التّسيّبُ، وامتساكه في قاع عميق[7]، ومنه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 437.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلد).
(3) الراغب، المفردات: (خلد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسن).
(5) الراغب، المفردات: (حسن).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قرّ).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (مكن).

القُرارة: وهي ما لزق في القدر من مرق أو تابلٍ محترق أو سمنٍ أو غيرِه[1]، وسمّي بذلك لاستقراره أسفلَها، والقرارة: كلُّ مطمئنٍّ اندفع إليه الماء، فاستقرّ فيه[2]، والمستقرّ اسم مكان من الفعل: استقرّ، يقال: قرّ بالمكان واستقرّ، أي: أقام فيه، فالمستقرّ، مكان قرار وإقامة[3].

4) ﴿وَمُقَامًا﴾: (قوم) أصلٌ يدلّ على انتصابٍ أو عزمٍ[4]، ويُقال: أَقامَ إقامةً ومُقامَةً، والمَقام والمُقام، بالفَتْح والضَّمِّ، وقد يَكونانِ للمَوْضِع؛ لِأَنَّك إذا جَعَلْتَه من قامَ: يَقوم فمَفْتوحٌ، وإن جَعَلتَه من أَقام يُقيمُ فمَضْمومٌ اسم مكان، والمَقامُ يكون مصدرًا، واسم مكانِ القيام، وزمانِه، نحو: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى﴾ [يونس: 71]، ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]، ومعنى (المقام) في الآية الإقامةُ الدّائمة[5].

❁ المَعْنَى الإجْماليُّ:

يُخبر ربّنا سبحانه عن أهل الجنّة بأنّهم خالدون فيها أبدًا مِن غير موت، وقد حَسُنَت الجنّةُ مستقرًّا يَقرّون فيه ومقامًا يقيمون به، فهم لا يبغون عنها تحولًا[6].

حُسنُ دارِ المؤمنين بما فيها من النّعيم المقيمِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الحال ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مجموعًا:

تضمّن قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ بُشرى لعبادِ الرّحمن بأنّهم سيدخلون الجنّة حالَ كونهم ﴿خَٰلِدِينَ﴾ في تلك الغرفة لا يموتون

بُشرى عبادِ الرّحمن بعدمِ مفارقةِ الجِنان

(1) ابن سيده، المحكم: (قرر).
(2) الزّبيدي، تاج العروس: (قرر).
(3) الواحدي، التّفسير الوسيط: 1/ 124، والسّيوطي، نواهد الأبكار: 2/ 207، والقنوجي، فتح البيان: 1/ 137.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 482.
(6) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 366.

ولا يخرجون منها[1]، ويؤكّدُ هذا المعنى قولُه ﷺ: «يُؤْتَى بالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أملَحَ، فيُنادي مُنادٍ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، فيَشْرَئِبّونَ ويَنْظُرونَ، فيَقولُ: هلْ تَعْرِفونَ هذا؟ فيَقولونَ: نَعَم، هذا المَوْتُ، وكُلُّهُم قدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنادي: يا أهْلَ النّارِ، فيَشْرَئِبّونَ ويَنْظُرونَ، فيَقولُ: هلْ تَعْرِفونَ هذا؟ فيَقولونَ: نَعَم، هذا المَوْتُ، وكُلُّهُم قدْ رَآهُ، فيُذْبَحُ، ثُمَّ يقولُ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، خُلودٌ فلا مَوْتَ، ويا أهْلَ النّارِ، خُلودٌ فلا مَوْتَ»[2].

فائدةُ شبهِ الجملة ﴿فِيهَا﴾:

تـمـامُ المِـنّـةِ بتعريف دارِ الإقامة والكرامةِ

غرضُ التّعبير بشبه الجملة ﴿فِيهَا﴾ في قوله تعالى ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ تأكيدُ الاهتمام بمحلّ الخلود ومكانِه، وهو الغرفة، جزاءَ ما أزعجهم الكفّار من ديارهم حتى هاجروا فعوّضهم اللّه بدلَ ذلك دارَ الكرامة والنّعيم المقيم.

إيثارُ لفظِ الإحسان ماضيًا:

مقابلةُ مصيرِ الكافرين بمصيرِ المؤمنين الموحّدين

أوثر التّعبيرُ بالفعل ﴿حَسُنَتْ﴾ في قوله تعالى ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾؛ لأنّه مقابلٌ لقوله في آية سابقة: ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: 66]، والتّقدير: (ما أسوأ ذلك وما أحسن هذا)[3]، وهذا الفعل (حَسُن) هو إمّا فعلٌ تامٌّ فاعلُه ضميرٌ راجع إلى الغرفة، ومستقرًّا تمييز، أو هو من أفعال المدح فاعلُه ضميرٌ مبهمٌ يفسِّره المميِّزُ، والمخصوصُ بالمدح محذوفٌ، فعلى هذا تأنيثُ الضّمير لتأويل المستقرّ والمقام بالجنّة أوِ الغُرفة؛ لأنّها مخصوصةٌ بالمدح[4].

سرُّ تنكيرِ المُستقرّ والمقام:

تعظيمُ قدرِ الجنّة مستقرًّا ومُقامًا

نُكِّرَ لفظا ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ للتّفخيم والتّعظيم، أي: أنّ الجنّة حَسُنت مستقرًّا ومقامًا عظيمين لا يكتنه كنهُهما[5].

(1) الهرريّ، حدائق الروح والريحان: 20/ 122.
(2) أخرجه البخاريّ في صحيحه، الحديث رقم: (4730).
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 488.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 169.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 437.

وجهُ الجمعِ بين المُستقَرِّ والمُقام:

الإقـامـةُ أطـولُ لبثًا من مجرّد القرار

جُمع بين لفظ (المستقرّ) و(المقام) بحرف الواو الدّالِّ على العطف والاقتران، والعطفُ يقتضي المغايرةَ في الأصل، فقال العلماء إنّ المستقرّ موضعُ القَرار، والمقامَ موضعُ الإقامة، ولا شكّ أنّ في الإقامة لُبثًا أطولَ من مجرّد القَرار، ولهذا قال بعض المفسّرين في قوله عن جهنّم أنّها ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦﴾ [الفرقان: 66]: القرار للعُصاة من أهل الإيمان، فإنّهم يستقرّون في النّار ولا يقيمون فيها، وأمّا الإقامة الدّائمة فللكفّار[1].

بلاغةُ تقديمِ المُستقرّ على المُقام:

تـدرّجُ النّظمِ منَ الطّويل إلى الأطول زمنًا

قُدِّم المُستقرّ على المُقام في قوله تعالى: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ على سبيل التّدرّج، فالاستقرارُ يكون بالدّخول والقرارِ لمدّة معيّنة، ويأتي بعد ذلك الإقامةُ بالمكوث الأبديّ في الجنّة.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المُستقرّ، والمُقام، والمثوى:

الإقـامـةُ أطـولُ مـنَ الـقـرار، والـثّـواءُ أطـولُ منهما

يتّضح الفرقُ بين هذه الألفاظ في كون المستقرّ موضعَ القَرار، والمقامُ موضعُ الإقامة، والمثوى: اسمُ مكان الثّواء، ولا شكّ أنّ في الإقامة لُبثًا أطولَ من مجرّد القَرار، والثّواءُ مدّة أطولُ منهما هو لأنّه عند أهل اللغة طولُ المُقام، ولذا يقال: ثُوِّيَ الرّجلُ إذا قُبِرَ، ويقال للغريب إذا قام ببلدةٍ: ثاوٍ، ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القصص: 45][2]، ولهذا قال بعض المفسّرين في قوله عن جهنّم أنّها ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦﴾ [الفرقان: 66]، قالوا القرار للعُصاة من أهل الإيمان فإنّهم يستقرّون في النّار ولا يقيمون فيها، وأمّا الإقامة الدّائمة فللكفّار[3].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 482.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 4/ 233.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 482.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»